فصول من سيرهم بأقلامهم

تحرير:

د. شهاب غانم

د. أكرم جميل قنبس أ. شيخة المطيري

لمحات من تجربتي مع أدب "علي أحمد باكثير"

بقلم: د. عبد الحكيم عبد الله الزبيدي

بداية تعرفي إلى أدب باكثير:

كانت رواية (وا إسلاماه) هي المفتاح الذي ولجت منه إلى أدب علي أحمد باكثير، فقد كانت مقررة علينا ضمن منهج اللغة العربية للصف الثاني الثانوي، ولأني كنت حين درست رواية (وا إسلاماه) في مطلع الشباب، حيث يكون الإنسان متطرفاً في عواطفه، فقد شغفت بأسلوب باكثير شغفاً كبيراً، وأعدت قراءة الرواية عدة مرات، حتى إني حفظت مقاطع منها عن ظهر قلب، وقد أدى بي هذا الشغف إلى البحث عن أعمال أخرى للكاتب، وإلى محاولة معرفة شيء عن سيرته الأدبية والشخصية، ولكني- مع الأسف- لم أظفر بطائل؛ لقلة ما كان يكتب عنه آنذاك، ولعدم توفر مؤلفاته في المكتبات، وقد تطلب مني الأمر أن أكلّف بعض الأصدقاء الذين كانوا يقضون إجازاتهم الصيفية في مصر أن يحضروا لي ما يجدونه من مؤلفات باكثير في المكتبات المصرية.

وقد استطعت خلال ما يقارب خمسة عشر عاماً جمع عدد صالح من أعمال باكثير، ومنها مطولته المسرحية (ملحمة عمر) التي حصلت عليها من صديق في الكويت، حيث طُبعت هناك طبعتها الأولى عام 1969م، وهو العام الذي توفي فيه باكثير، وذلك قبل صدورها بحوالي شهر، كما استطعت الحصول على بعض المعلومات اليسيرة عن باكثير من خلال المقالات القليلة التي كُتبت عنه في المجلات.

ثم قُدِّر لي أن ألتقي بالدكتور محمد أبوبكر حميد في عام 1993م في مدينة الرياض التي مكثت فيها خمسة أسابيع التحقت خلالها بدورة في معهد الإدارة العامة في الرياض، وكنت ألتقي

بالدكتور حميد في نهاية كل أسبوع، حيث يستضيفني في بيته، ويطلعني على ما تجمع لديه من كنور باكثير الأدبية، ولم يبخل عليَّ الدكتور حميد– جزاه الله خيراً– بشيء مما لديه، وسمح لي بأخذ نسخ عن كثير مما كتب عن باكثير، من كتب وأطروحات ومقالات، بالإضافة إلى بعض التسجيلات المرئية والمسموعة والصور النادرة.

وحين عدت إلى الإمارات أحسستُ أن عليَّ واجباً تجاه الأديب باكثير، وأن عليّ أن أوصل ما لدي من الكنوز الأدبية إلى الباحثين والدارسين؛ ليكتبوا عنها، ويضمنوها أبحاثهم، ولم أكن أدري ما الطريقة المثلى لذلك، وقد بدأت بكتابة مقالة في الملحق الثقافي لصحيفة (الاتحاد) في فبراير 1994م، استعرضت فيها ما لديّ ولدى الدكتور حميد من كنوز مخطوطة ومطبوعة تتعلق بتراث باكثير الأدبي، ووجهت نداءً للباحثين المهتمين للاستفادة من هذه الكنوز من خلال التواصل معي أو مع الدكتور حميد، ولكنه لم يتواصل معي أحد.

فكرة إنشاء موقع باكثير على "الإنترنت"

وحين ظهر "الإنترنت" في النصف الثاني من تسعينيات القرن العشرين كانت الإمارات من الدول السباقة إلى استخدامه، وعندما تعرفت إلى هذه التقنية الجبارة، ورأيت مدى إمكاناتها الهائلة، وأنها تصل إلى دول العالم كافة، قلت لنفسي: لقد وجدت المكان المناسب الذي أضع فيه هذه الكنوز التي لديّ لتصل إلى أيدي الباحثين والدارسين في أنحاء المعمورة كلها، وهكذا ظهرت فكرة موقع باكثير على "الإنترنت"، وقد أفضيت بالفكرة إلى الدكتور حميد في إحدى زياراته إلى الإمارات في عام 1999م فشجعني كثيراً على المضيّ في هذا الأمر، ووعد بأن يزودني بالمزيد مما لديه من النفائس عن باكثير، وقد فعل ذلك في زياراته التالية.

وهكذا شرعتُ في تنفيذ الفكرة، وكان أن بدأت في أخذ دورة تدريبية في تعلّم كيفية تصميم المواقع على "الإنترنت"، وبدأت أصمم الموقع، وكانت الصعوبة التي واجهتني أنه لم يكن لديّ كتاب

جامع أنقل عنه، وإنما كنت كأنما أؤلف كتاباً أو أكتب بحثاً، فمثلاً: سيرة حياة باكثير لم تكن مجموعة في كتاب واحد، فأخذت أجمعها من عدة مراجع، وكذلك قائمة مؤلفاته، وقائمة الكتب التي كتبت عنه، والأطروحات التي تناولت أدبه، إلى آخر ذلك، وقد اقتضى مني تصميم الموقع وإدخال المعلومات فيه عاماً كاملاً، كنت أعمل فيه في أوقات فراغي بعد عودتي من العمل، وحتى وقت متأخر من الليل.

وأذكر من الطرائف التي مرت بي في تلك الفترة، أن ابني محمداً، الذي كان وقتها في الصف السادس الابتدائي، وكان يراني منهمكاً في تصميم الموقع، وكتابة محتوياته، وكان يعرف أنني أصمم موقعاً عن باكثير، ويعرف مدى اهتمامي به من خلال كُتب باكثير التي لدي، ومن خلال صور باكثير المعلقة على جدران المنزل، فقال لي، وهو يراني مشغولاً في تصميم الموقع، ما معناه: "يا أبي لو أن باكثير أنجب ابناً من صلبه، لما عمل له ما تعمله أنت له الآن"، وقد أضحكتني هذه الكلمة في البداية، ولكنني حين تأملت فيها، أحسستُ أن الله تعالى قد أنطقه بها، وأنها أكبر من سنه، وأخذت أسأل نفسي: لماذا أُجْهِدُ جهدُ هذا الإجهاد كُلَّهُ من أجل باكثير؟ وما الفائدة التي تعود عليّ من ذلك؟ إنني أنفق من وقتي وراحتي ومالي من أجل خدمة تراث باكثير، فلماذا هذا العناء كله؟ وما علاقتي أنا به؟ وفجأة لمعت في ذهني الإجابة عن هذا السؤال، فقلت له: "يا بني، لقد كان باكثير صادقاً مع ربه، ومخلصاً في أدبه، يبتغي به رضا الله، وخدمة أمته، فسخَّر الله له بعد وفاته من يخدم تراثه، وينشره بين النّاس، وهو مستريح في قبره، لقد قيَّض اللهُ لباكثير "محمد أبوبكر حميد"، و"أحمد السومحي"، و"عبد الحكيم الزبيدي" وغيرهم؛ لينشروا تراثه وأدبه، وهكذا فإنَّ مَن أخلص لله سخَّر الله له من يخدمه".

الهدف من إنشاء موقع باكثير على "الإنترنت"

تم إطلاق موقع باكثير على "الإنترنت" في منتصف عام 2001م، ويعد بهذا من أوائل المواقع الأدبية العربية على "الإنترنت"، ولعله أول موقع باللغة العربية لأديب عربي بعد وفاته، وقد بدأ الموقع تحت مظلة المواقع المجانية، حتى استأجرت له النطاق الخاص بتاريخ (2001/10/30).

وقد هدفتُ من وراء إنشاء الموقع إلى هدفين: أحدهما عامٌّ، والآخر خاص، أما الهدف العام فهو التعريف بباكثير ومؤلفاته ودوره الريادي في الشعر والرواية والمسرح بفرعيه الشعري والنثري، أي تعريفٌ عام لغير المتخصصين، وأما الهدف الخاص فهو التعريف بما كُتب عن باكثير من دراسات وأطروحات أكاديمية ليكون ذلك عوناً للدارسين والباحثين الذين يرغبون في إعداد الدراسات والأطروحات العلمية.

استقبال الباحثين للموقع:

استُقبِل الموقع استقبالاً حسنًا من قبل الباحثين، وكانت أول رسالة تصل للموقع من طالبة ماليزية تعد رسالة ماجستير عن باكثير في الجامعة الإسلامية في ماليزيا (2002م). ثم وصلت إلى الموقع رسالة من طالب باكستاني يحضر رسالة ماجستير عن باكثير (2003)، ثم تلتها رسالة من طالب أردني يرغب في إعداد رسالة ماجستير عن روايات باكثير (2003)، وذكر أنه لم يجد في مكتبة الجامعة الأردنية من روايات باكثير إلا رواية (وا إسلاماه)، وقد أرسلتُ إليه نسخًا من الروايات وما يحتاجه من مراجع، ثم توالت الرسائل بعد ذلك من مختلف البلدان، ومن بينها رسالة من طالب إيراني يعد رسالة دكتوراه عن باكثير في جامعة طهران (2006) وطالب سوري يعد رسالة ماجستير عن باكثير بالألمانية (2008)، ومعظم هؤلاء أرسلوا لي نسخاً من أبحاثهم بعد إنجازها، وسمحوا بنشرها في الموقع، ووجهوا الشكر للموقع ومؤسسه في المقدمة، وبعضها طُبعت في كتاب بعد ذلك، وأرسلت إليّ نسخ منها، وقد كنت في البداية أرسل إليهم ما يحتاجونه

من المراجع بالبريد الجوي، ثم بعد ذلك عمدت إلى المسح الضوئي وإرسالها عبر البريد الإلكتروني.

وقد استطاع الموقع بفضل الله تعالى أن يقدم العون والمساعدة لثمانية وعشرين باحثًا أعدوا أطروحات ماجستير ودكتوراه عن باكثير، خلال حوالي عشرين عامًا منذ تأسيسه حتى اليوم، أي بمعدل أكثر من أطروحة في العام، وهذا في رأيي إنجاز عظيم للموقع، يدل على أثره الكبير، عِلماً أن هذه الأرقام هي فقط للباحثين الذين تواصلوا مباشرة مع مؤسس الموقع، وتم إرسال المراجع إليهم، على أن هناك كثيراً من الباحثين قد استفادوا مباشرة من محتويات الموقع، دون أن يتواصلوا مع مؤسس الموقع، وهؤلاء يصعب حصرهم.

ونظرة على عدد الأطروحات التي صدرت عن باكثير قبل إطلاق الموقع وبعده تدل على مدى زيادة معدل الأطروحات التي كتبت عن باكثير بعد ظهور الموقع، فقد أحصيت (20) أطروحة صدرت خلال (40) عاماً منذ أقدم أطروحة عن باكثير حسب علمي (عام 1959م) حتى عام 2000م، بينما أحصيت (43) أطروحة صدرت خلال (20) عاماً منذ عام 2001م حتى 2020م، علمًا أن إحصائية الأطروحات التي تتناول باكثير غير دقيقة؛ لأنها نتاج بحث فردي، وربما هناك غيرها كثير مما لم يصل إلى علمي.

استقبال الموقع في الصحافة:

حظي موقع باكثير منذ إطلاقه بحفاوة الاستقبال في وسائل الإعلام، وكتبت عنه بعض الصحف العربية، والمواقع الإلكترونية، فكتبت عنه مجلة (إنترنت العالم العربي) في ديسمبر 2001م، وكُتبت مقالة عنه في الملحق الثقافي لصحيفة (الثورة) اليمنية في 21 يناير 2002م، وكتبت عنه صحيفة (الاتحاد) الإماراتية بتاريخ 26 يناير 2002م، وكتب عنه الأستاذ محمد حنفي في صحيفة القبس الكويتية، بتاريخ 2002/6/29م، علماً أن هؤلاء جميعهم قد فعلوا ذلك دون

طلب مني، ودون أن أعرفهم، وتفاجأت بكتاباتهم عن الموقع من خلال البحث في "الإنترنت"، ثم اتصلت بي الأستاذة دلال جويد من صحيفة (الخليج) الإماراتية، وطلبت إجراء حوار معي حول الموقع، وقد نشر في ملحق "الشباب" في مارس 2003م.

كتاباتي عن باكثير

لم يكن يخطر في بالي أنني سوف أكون من بين النقاد الذين يكتبون، ويحاضرون عن باكثير، إذ لم يكن في نيتي الكتابة النقدية عنه، وإنما اقتصر اهتمامي على جمع كل ما كتب عنه لوضعه بين أيدي الباحثين والدارسين، وكنت أرى أنني أقل شأناً من أن أتناول قامة أدبية كبيرة مثل باكثير بالكتابة عنه، خاصة أنني غير متخصص في الأدب، فقد كانت دراستي الجامعية في مجال إدارة الخدمات الصحية التي درستها في الولايات المتحدة الأمريكية، وتخرجت عام 1991م، وإن كنت بعد التحاقي بالعمل في المجال الصحي قد التحقت بجامعة الإمارات في الفترة المسائية، وحصلت على البكالوريوس في اللغة العربية عام 1999م، ثم حصلت على الماجستير في اللغة العربية من جامعة الشارقة عام 2011م.

غير أني اضطررت لخوض مجال الكتابة عن باكثير مبكرًا لتصحيح بعض الأحكام النقدية غير الدقيقة عنه، وَأَقْدَمُ ما نُشر لي عن باكثير هو مقالة في صحيفة (الاتحاد) الإماراتية عام 1983م رداً على مقالة نُشرت في الملحق الثقافي للصحيفة نفسها، ينسب كاتبه ريادة الشعر الحر للشاعر الأردني عرار، كذلك كتبتُ مقالة رددتُ بها على مقالة للدكتور غازي مختار طليمات نشرها في صحيفة (البيان) عام 2002م ينسب فيها ريادة الشعر الحر للسيّاب، وتم نشر ردّي في الصحيفة نفسها. وفي عام 1992م نشر الأستاذ حسيب كيالي مقالة في صحيفة (الاتحاد) عن مسرحية باكثير الكوميدية (أبو دلامة) يتهم باكثير فيها بأنه كتبها بهدف الإضحاك فقط دون أن يكون له هدف أخلاقي، وقد كتبت رداً عليه، ولكني تأخرت في نشره حتى فاتت المناسبة.

وفي أثناء دراستي لتخصص اللغة العربية في (جامعة الإمارات) كتبت بحثًا عن باكثير قدمته لأستاذي البروفيسور إبراهيم السّعافين في أحد المساقات التي درّسها لي، وقد علّق على البحث بقوله (بحث ممتاز)، فكانت أول شهادة من ناقد كبير أحصل عليها، مما شجعني على نشر ذلك البحث في كتاب إلكتروني عام 2002م، ثم طبعته في كتاب عام 2009م فكان أول كتاب يصدر لي عن باكثير، وتوالت مقالاتي النقدية عن أعمال باكثير، وكنت أنشرها في الصحف ومواقع "الإنترنت"، ثم جمعت معظمها في كتاب صدر عن مجلة (الرافد) الإماراتية عام 2010م بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على مولد باكثير.

ثم حصلت على الماجستير في اللغة العربية عام 2011م عن رسالة بعنوان (النكوص الإبداعي في أدب علي أحمد باكثير) وكان المشرف على رسالتي الأستاذ الدكتور حسن الأمراني، وقد طُبعت الرسالة في كتاب صدر عن (ندوة الثقافة والعلوم) بدبي عام 2013م.

مصادفات أم تدبير ربّاني؟

حين نشر الأستاذ حسيب كيّالي مقالته عن مسرحية باكثير الكوميدية (أبو دلامة) يتهمه فيها بأنه كتبها بهدف الإضحاك فقط، وأنه ليس للمسرحية هدف أخلاقي استفزتني هذه المقالة، وجعلتني أقول لنفسي: من المستحيل ألا يكون لباكثير هدف آخر غير الإضحاك، فليست هذه عادته، ولا أسلوبه. ورغم أنني قرأت مسرحية (أبو دلامة) قبل ذلك عدة مرات، واستمتعت بها إلا أنني لم أكلف نفسي عناء البحث عن هدف أخلاقي فيها، فأعدت قراءة المسرحية باحثاً عن هذا الهدف، فتكشّف لي بسرعة، وكتبت مقالة رداً على كيّالي، ولكني مع الأسف تأخرت في إرسالها للصحيفة حتى فاتت المناسبة، ثم ضمّنتها في كتابي (علي أحمد باكثير بمناسبة مرور قرن على ميلاده).

وقد وجدت أن هذه المسرحية شغلت كثيرًا من النقّاد الذين رأوا فيها ما رآه الأستاذ كيّالي، وهو أن باكثير هدف من ورائها إلى الإضحاك فقط دون أن يكون له هدف أخلاقي كما هي عادته، وممن ذكر ذلك الباحثة مديحة عواد سلامة في رسالتها للماجستير، وكذلك الناقد الأستاذ عبدالله الطنطاوي، في كتابه عن باكثير، وقد جعلني هذا أعجب كيف لم يفطنوا للهدف الذي فطنت أنا إليه بسهولة. وقد تكرر معي هذا حين وجدت نفسي أفطن لأمر آخر لم يفطن له الناقد الكبير عصام بهي – رحمه الله– حين وجه نقدًا لإحدى مسرحيات باكثير في أطروحته الرائعة (الشخصية الشّريرة في الأدب المسرحي) رغم إشادته المتكررة بباكثير وشدة إعجابه به، حتى إنه أعلن في خاتمة رسالته عن نيته في كتابة بحث مستقل عن باكثير، وهذا ما وفى به عندما كتب عنه كتاب (مسرح باكثير الاجتماعي) إلا أنه لم يفطن لما فطنتُ أنا له، ورددتُ به على نقده ذاك لمسرحية باكثير.

وقد أفضيتُ بذلك للدكتور أحمد السومحي –حفظه الله– في أثناء تعرّفي إليه في الإمارات حيث عمل أستاذاً في جامعة عجمان فرع العين لمدة خمس سنوات وكنت ألتقي به أسبوعيًا على الأقل وأسعد بصحبته وكان مدار حديثنا في الغالب عن باكثير. وقد أفضيت للدكتور السومحي بالأمر وقلت له: "إنني أعجب من نفسي حين أجد أنني أفطن لأشياء ودقائق في أدب باكثير لم يفطن لها كبار النقاد الذين درسوا أدبه على قلة بضاعتي في الأدب والنقد مقارنة بهم"، فرد عليّ برد لم يكن يخطر لي على بال، حيث فَسّر لي هذا الأمر فقال: "إن الإنسان إذا أخلص لقضية أو لأمر ما فإن الله تعالى يفتح عليه بفتوحات لا يفتحها على أحد غيره"، وإنني لأرجو فعلاً أن أكون ممن يصدق فيهم ذلك القول. ومما جعلني أقتنع بكلام الدكتور السومحي هو أن هناك بعض الأمور التي حدثت معي مما قد يبدو للوهلة الأولى أنه من قبيل المصادفات، إلا أنني أحسب أنه من تدبير الله تعالى. من ذلك أنني كنت أبحث ذات مرة من عام 2005م في "الإنترنت" عما نشر عن باكثير باللغة الإنجليزية فوقعت على اسم البروفيسور الأمريكي (مارفن كارلسون)

الذي كان يدرّس الأدب العربي في جامعة نيويورك، ووجدت اسم باكثير من ضمن أسماء الأدباء العرب الذين يدرّس أدبهم، فكان أن تواصلت معه، وأخبرته عن اهتمامي بباكثير، وسألته إن كانت أعمال باكثير التي يدرّسها لطلابه مترجمة إلى الإنجليزية أم لا؟ فرد علي أنها باللغة العربية، ولكنه أخبرني أنه ترجم مسرحية باكثير (مأساة أوديب) إلى الإنجليزية بمساعدة طالبة دراسات عليا عربية، وأنها ستنشر في كتاب تحت الطبع، يحوي أربع مسرحيات تناولت أسطورة أوديب لكتّاب عرب من بينهم باكثير، وطلب مني عنواني ليرسل لي نسخة منه حال صدوره، فزوّدته بعنواني، وبعد بضعة أسابيع وصلني الكتاب، فهل يمكن أن يكون ذلك محض مصادفة؟

ومما أعتز به من جهودي في خدمة تراث باكثير أنني استطعت إقناع الدكتورة مديحة عواد أن تطبع بحثها الرائع عن باكثير الذي هو رسالة ماجستير بإشراف الدكتورة سهير القلماوي، وكنت قد حصلت على نسخة من هذه الرسالة من الدكتور حميد مطبوعة على الآلة الكاتبة، ومسحوبة على (الاستنسيل)، وهذه ألفاظ ومصطلحات يجهلها جيل اليوم، وهي رسالة رائعة بذلت الباحثة فيها جهدًا كبيرًا، وقابلت مجموعة من الأدباء الذين عاصروا باكثير وعرفوه عن قرب، ومن بينهم الروائي الكبير نجيب محفوظ، وزارت منزل أسرة باكثير، والتقت بزوجته وربيبته، واطلعت على أعماله المخطوطة، وكتبت دراسة رائعة بعنوان (مسرح علي أحمد باكثير)، وقد حصلتُ على رقم هاتفها من الدكتور حميد، واتصلت بها في أثناء إحدى زياراتي للقاهرة، وزرتها، وتحدثت معها عن رسالتها، وسألتها: لماذا لم تطبعها؟ فذكرت أنها تنوي مراجعتها والتعديل عليها؛ لأنها قديمة، وربما تكون بعض المعلومات فيها بحاجة إلى تحديث، فقلت لها: "انشريها كما هي دون أي تعديل، واكتبي لها مقدمة تذكرين فيها أنها رسالة ماجستير قدمت عام 1980م، وأنها تنشر كما هي"، وقد وضّحتُ لها أهمية رسالتها، وكيف أنها من أهم المراجع عن باكثير، وأنني أرغب في إضافتها إلى الموقع، ولكن طباعتها رديئة وغير واضحة، وتصويرها سيتطلب جهدًا، واقترحتُ عليها أن تعهد أولاً إلى من يقوم بصفّها على "الكمبيوتر"، وأن ترسلها إلي

لأراجعها، وأصححها، ثم بعد ذلك نضع نسخة إلكترونية منها في الموقع، فاقتنعت بالفكرة، ونفذتها، وأرسلت الرسالة إليّ مصفوفة على "الكمبيوتر"، فصححتها وأعدت إرسالها إليها، ثم أخبرتني أنها وجدت دار نشر قبلت أن تطبعها في كتاب، وهكذا طبعت أول وأشمل رسالة ماجستير تناولت مسرح باكثير، بعد ثلاثين عامًا من كتابتها.

المشاركة في المؤتمرات الدولية

لقد جعلني اهتمامي بباكثير أدخل عالم الأدب من أوسع أبوابه، فبعد أن كنت بعيدًا عن الأضواء، أكتب الشعر، ولكني لا أنشره، أصبحت محط الأنظار، فشجّعني ذلك على نشر ديواني الأول عام 2009م عن هيئة أبوظبي للتراث، كما شجّعني على الكتابة النقدية عن باكثير، كذلك شاركت في العديد من المؤتمرات والندوات التي أقيمت عن باكثير في الإمارات، وفي مصر واليمن، والهند وإندونيسيا، بالإضافة إلى مشاركتي في مؤتمرات أدبية أخرى بورقات عمل عن باكثير، وعن غيره في المغرب والأردن وسلطنة عُمان، ولكل مؤتمر من هذه المؤتمرات حكاية جديرة بأن تروى، ولكن لضيق المساحة المخصصة لهذه المقالة سنقتصر على أهم هذه الذكريات.

الندوة الأولى التي نظمها اتحاد كتاب وأدباء الإمارات في مايو عام 2006م من قصتها أنني تعرّفت إلى الشاعر الكبير الدكتور شهاب غانم في معرض الشارقة للكتاب في نوفمبر عام 2005م، وكانت وسيلتي للتعرف إليه أن أخذت رقمه من استعلامات الهاتف، واتصلت به، وعرّفته بنفسي، وأنني مهتم بالأديب باكثير، وأرغب في التعرّف إليه، فوجدته ودوداً في ردّه عليّ، وحدّثني أنه قابل باكثير شخصيّا عام 1968م، واتفقنا على اللقاء في معرض الشارقة للكتاب، وكان ذلك، واستمر التواصل بيننا عبر الهاتف. وفي أحد الأيام اتصل بي، وأخبرني أن الأستاذة أسماء الزرعوني نائب رئيس اتحاد كتاب وأدباء الإمارات حينها قد اتصلت به، وأخبرته عن عزم الاتحاد إقامة ندوة عن الأديب علي أحمد باكثير، وطلبت منه ترشيح أسماء

بعض النقاد داخل وخارج الدولة لتوجيه الدعوة لهم للمشاركة، فكان أن دلّها عليّ، وأعطاها رقم هاتفي، واتصل بي ليخبرني أنها ستتصل بي، وبالفعل تواصلت معي الأستاذة أسماء، وضمت اسمي إلى لجنة المؤتمر، وكانت برئاستها وعضوية الأستاذ إبراهيم مبارك والدكتور عمر عبد العزيز والأستاذ عبد الفتاح صبري، وحضرت اجتماعات اللجنة، وطلب إليَّ ترشيح ثلاثة أسماء من خارج الدولة لتوجيه الدعوة إليهم فاقترحت دعوة كل من: د. محمد أبوبكر حميد من السعودية، والدكتور أحمد السومحي من مصر، والأستاذ عبد الله الطنطاوي من الأردن، ومن الإمارات اقترحت دعوة الدكتور محمد أبو الفضل بدران الأستاذ حينها في جامعة الإمارات، وكانت ندوة جميلة عقدت على مدى يومين في الشارقة، وشارك فيها أيضًا الدكتور عمر عبد العزيز والدكتور شهاب غانم، وطُلب إليَّ أن أشارك فاعتذرت؛ لعدم تخصصي، ولأنها أول مرة توجه لي دعوة للمشاركة في ندوة أو مؤتمر، ولم يسبق لي أن ألقيت محاضرة أمام الجمهور، ولكنهم لم يتركوا لي بدًا من المشاركة، وقالوا لي: أنت أولى شخص بالمشاركة. وأمام إلحاحهم قبلت أن أشارك، ولكن بشرط أن أتحدث عن موقع باكثير على "الإنترنت"؛ لأن هذا هو الموضوع الذي أنا متمكن منه، فوافقوا.

وحين أعدوا جدول المحاضرات، وضعوا مشاركتي في ذيل القائمة؛ لأنها ليست ورقة نقدية، وربما لأني كنت أصغر المشاركين سنّا، ولم يكن يسبق اسمي حرف الدال، حينها، غير أن القدر جعل محاضرتي تكون الأولى في الندوة، والوحيدة التي يسجلها التلفزيون؛ ذلك أن اللجنة قررت أن تكون الليلة الأولى في النادي الثقافي العربي بالشارقة للافتتاح فقط، وعرض شريط "فيديو" عن باكثير، وستكون المحاضرات في اليوم التالي على فترتين: فترة صباحية في مدرج يقع بجوار مقر الاتحاد على قناة القصباء، وفترة مسائية في النادي الثقافي العربي، وطلبتُ أنا أن تكون محاضرتي في المدرج لوجود جهاز عرض؛ لأني كنت أعددت (عرضا تقديميًا)، ولأن لدي تسجيلاً لمقطع شعري بصوت باكثير، فقُبل طلبي على أن تكون محاضرتي هي آخر

محاضرة في الفترة الصباحية، وكان عدد المحاضرين سبعة، ثلاثة من خارج الدولة وأربعة من داخل الدولة، وحين حضرنا في الصباح للمدرج تفاجأنا بأن الحاضرين كانوا شخصين اثنين فقط، رجلا وامرأة، غير المحاضرين والمنظمين، وحضر طاقم من تلفزيون الشارقة بكاميراتهم لتسجيل وقائع الجلسات، وكان يوم عقد الندوة مصادفًا لموعد عقد ندوة صحيفة (الخليج) السنوية، فيبدو أن معظم الجمهور ومراسلي الصحف قد ذهبوا إلى هناك، وحار المنظمون وتداولوا الرأي، فقرروا أولاً تأخير موعد البدء لمدة ساعة. ومرت الساعة ولم يزد عدد الحضور إلا واحداً فقط. وبعد نقاش طويل انتهى بهم الرأي إلى تأجيل المحاضرات جميعها إلى الفترة المسائية، وعبثاً حاولت إقناعهم أن الفترة المسائية لن تتسع بحال من الأحوال لسبع محاضرات، لكنهم أصروا، إذ لا يمكن– من وجهة نظرهم– عقد الندوة بهذا العدد الضئيل من الجمهور، فما كان مني إلا أن استأذنتهم أن أعرض أنا ورقتي لأن المدرج فيه جهاز عرض، ولا يمكن عرض ورقتي في النادي الثقافي العربي؛ لعدم جاهزيته لذلك، فوافقوا على أن أقدم أنا فقط ورقتي في الفترة الصباحية، وتؤجل بقية الأوراق إلى المساء، وهكذا أصبحت محاضرتي أول محاضرة في الندوة، وسجلها تلفزيون الشارقة كاملة، وتم عرضها في التلفزيون، وبعد أن انتهيت من تقديم ورقتي، حزم طاقم التلفزيون أجهزتهم، وانصرفوا إذ قيل لهم إن الفترة الصباحية قد انتهت.

وبعد ذلك أخذ المحاضرون والمنظمون فترة استراحة تناولوا فيها المرطبات والشاي، وأخذوا يتناقشون بهدوء، فاقتنعوا بأن الفترة المسائية لن تتسع لست محاضرات، ووجدوا أن محاضرتي قد تم تقديمها بنجاح رغم قلة الجمهور، وصح عزمهم على تقديم محاضرتين أخريين بعد الاستراحة، وهكذا قدم الدكتور شهاب غانم والدكتور عمر عبد العزيز مداخلتيهما في الفترة الصباحية، وأخذا وقتهما كاملا. وفي الفترة المسائية قدمت بقية المحاضرات الأربع، وكان الوقت المخصص لكل متحدث قصيراً جداً، فلم يستطيعوا تقديم محاضراتهم بشكل مناسب، رغم كثرة الجمهور في النادي الثقافي العربي. واختتمت الندوة بأمسية شعرية استعادية من شعر باكثير

قدمها كل من الشاعرين رعد أمان وطلال سالم، وقد نشرت أبحاث الندوة بعد ذلك في عدد خاص من مجلة (الرافد) (يناير 2007م)، بينما نشر بحث الدكتور حميد في مجلة (شؤون أدبية).

المؤتمر الثاني الذي شاركت فيه كان مؤتمر مئوية ميلاد باكثير في القاهرة في يونيو عام 2010م، وقد نظمته في البداية رابطة الأدب الإسلامي، وكنت قد أرسلت لهم بحثًا وتم قبوله، وتقرر عقد المؤتمر في قلعة محمد علي بالقاهرة، وقد تزامن عقد المؤتمر مع موعد عقد مؤتمر اتحاد الكتاب العرب السنوي، وحين أرادوا حجز القلعة قيل لهم إن رابطة الأدب الإسلامي قد حجزته لعقد مؤتمر عن باكثير، فقالوا: ليست الرابطة بأولى منا بباكثير، فكان أن دخل اتحاد الكتاب العرب في تبنّي المؤتمر، ووجهت الدعوة لاتحاد كتاب وأدباء الإمارات للمشاركة، فاتصلت بي الأستاذة أسماء الزرعوني لتخبرني عن المؤتمر، وتسألني إن كنت أرغب في الاشتراك فيه بورقة عمل، فقلت لها: نعم وقد قُبلت ورقتي، فقالت: إذن سنضمك إلى وفد الاتحاد، وقد كان، فسافرت مع وفد الإمارات وكان المدعوون من قبل الاتحاد قد أنزلوهم في فندق راقٍ، وكل ضيف في غرفة مستقلة، بينما أُنزل المدعوون من قبل رابطة الأدب الإسلامي في فندق أقل درجة، وكل اثنين في غرفة، وكان مؤتمراً ناجحًا بكل المقاييس، وهو المؤتمر الوحيد الذي يشترك في تنظيمه رابطة الأدب الإسلامي واتحاد الكتاب العرب، وهذا لا يحدث إلا مع باكثير الذي يجمع على حبه الأدباء العرب كلهم على اختلاف توجهاتهم الفكرية والأيديولوجية، وقد شهد المؤتمر ظاهرة فريدة قل أن تحدث، فكنا نرى شيخًا معمّمًا كثّ اللحية يرقى المنصة فيتحدث عن باكثير بحب وإعجاب، وما إن ينزل حتى يرقى المنصة رجل حليق اللحية فيتحدث عن باكثير بحب وإعجاب، بل لقد ارتقى المنصة قسّيس بلباسه الكنسي، وأخذ يتحدث عن باكثير بحب وإعجاب.

ثم كان المؤتمر الذي نظمته جامعة عدن في ديسمبر عام 2010م، وعُقد في مدينة (سيئون) بحضرموت، على مدى ثلاثة أيام، وكان تظاهرة أدبية رائعة، شارك فيه باحثون من اليمن وخارجها، وتم تكريمي فيه لتأسيسي موقع باكثير على "الإنترنت".

ومن أجمل المؤتمرات التي حضرتها عن باكثير كان مؤتمر الهند، الذي نظمته جامعة كاليكات بولاية كيرالا في أكتوبر عام 2017م، وقد شارك فيه أكثر من ثلاثين باحثاً من مختلف ولايات الهند، بعضهم جاء في القطار في رحلة استغرقت عشرين ساعة، وشارك فيه من خارج الهند بالإضافة إليّ الدكتور عمر عبد العزيز والدكتور عبد الرحيم إيدي من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وكان من المقرر أن يشارك أيضاً الدكتور محمد أبوبكر حميد، ولكن تأخر إجراءات "الفيزا" لم يمكّنه من الحضور، كذلك وجهت الدعوة للدكتور شهاب غانم، ولكنه اعتذر لاعتلال صحته، وتم تسجيل مداخلته "بالفيديو"، وعرضت خلال جلسات المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام.

وفي العام نفسه شاركت في مؤتمر في جاكرتا عن (دور الحضارم في إندونيسيا) بورقة عن (إندونيسيا في أدب باكثير)، وبعده سافرت مع وفد اليمن إلى (سورابايا) حيث عقدت ندوة عن باكثير شاركت فيها مع أحد أعضاء وفد اليمن، وقد التقيت للمرة الأولى بأقارب باكثير في إندونيسيا وهم أبناء شقيقيه أبي بكر وحسن. وفي العام التالي 2018م وجهت لي الدعوة لحضور ثلاث ندوات عن باكثير في إندونيسيا؛ لتدشين إطلاق الترجمة الإندونيسية لمسرحية باكثير (عودة الفردوس) التي تؤرخ لاستقلال إندونيسيا، وقد ترجم فيها باكثير السلام الوطني الإندونيسي إلى اللغة العربية على لحن السلام الوطني نفسه باللغة الإندونيسية، وكانت أولى الندوات في مدينة (سورابايا) مسقط رأس باكثير، وحضرها عدد من أقاربه، وهم أبناء أشقائه وشقيقاته، وكانت ندوة جميلة ألقيت فيها المحاضرات باللغة الإندونيسية، وألقيت أنا محاضرتي باللغة العربية مع

الترجمة الفورية إلى الإندونيسية، ثم دعتنا أسرة باكثير إلى مقر إقامتهم في مدينة (جمبر) التي تبعد عن (سورابايا) مسيرة أربع ساعات بالسيارة، وقد قضينا ثلاثة أيام جميلة هناك في ضيافتهم، وزرنا منزل خال باكثير في قرية (منقلي) الذي يقع إلى جوار مصنع للأرز كان مُلكًا له، وبجواره نهر، جف الآن إلا قليلا، قيل لنا إن باكثير كان يقضي الساعات على ضفافه في أثناء زيارته لإندونيسيا، وقد أقيم لنا فيه حفل عشاء حضرته أسرة باكثير برجالها ونسائها وأطفالها، وألقيتُ فيهم كلمة قصيرة، عن شعر باكثير في (سورابايا)، ومنه قصيدته التي يذكر فيها أسماء قرى ومدن إندونيسية، ومنها قوله متغزلاً بفتاة من جزيرة (مدورا):

(مدوريةٌ) عطلٌ من الحلي جيدها كفتها ثناياها عن اللؤلؤ الرطبِ

تذكّرتها في (سورابايا) وأهلها بقرية (منقلي) بين (جمبر) إلى (رِمبي)

ولما ترجمها لهم المترجم ضحكوا وانبسطوا، ثم فُتح باب الأسئلة فطرحوا عليّ أسئلتهم، وكان أوّلَها سؤال طرحته إحدى السيدات: ما سر اهتمامك بباكثير؟ وهو السؤال الذي أواجَه به في كل مكان؟ وقد تبسّطت في الإجابة عنه ملخّصًا لهم أهم المزايا التي تفرّد بها باكثير بين معاصريه، والتي حبّبته إلى نفسي، وقد أقيمت ندوة ثانية في مدينة (جمبر)، ثم عدنا إلى (سورابايا)، وسافرنا في اليوم التالي بالطائرة إلى (جاكرتا) العاصمة، وفيها عقدت الندوة الثالثة في جامعة شريف هداية الله.

الحديث عن باكثير يطول، ولكني أكتفي بهذا القدر التزاماً بالمساحة المحددة.